وما لديهم من مال وسلاح ، وما عندهم من علم وفن ؛ ولكنه يعرف كذلك ماله من حق، وما عنده من كرامة ، وما فيه من إباء وما يمده به تاريخه من ثبات فى الأزمات ، وصبر فى الخطوب . فيقدم على الأهوال ذاكراً قول سلفه .

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ويتقدم فيزيده الهول مضاء ، والنار صفاء ، منشدا :

فإن تكن الأيام فينا تبدلت بنعمى وبؤس والحوادث تفعل

فما لينت منا قناة صليبة ولا ذللتنا للذى ليس يجمل

ولكن رحلناها نفوساً كريمة تحمل مالا تستطيع فتحمل

وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا

فصحت لنا الأعراض والناس هزّل

حسب الصهيونيون أن الأمم مال وربا ، وأشكال وألوان ، وهياكل وجدران ، وبنى وعدوان ، وغفلوا عن حقيقة الإنسان الإنسان الكريم ، نفس كريمة ، وقلب شجاع ، وخلق أبى ، وما وراء ذلك صور وزخارف ، وخدع وأباطيل ، تذوب إذا وقدت النار ، وتبوخ إذا حمى الوطيس .

ألا ساء فأل الأوغاد ، وخاب ظنهم حين زينت لهم أموالهم وزخارفهم أنهم للعرب أكفاء وأنداد . فلتبطل دعواهم الوقائع ، ولتكذب ظنونهم المعارك .

ألا إنه إن تحدى باطل الصهيونيين حق العرب ، وجرؤ شذاذ الآفاق على خير الأمم ، ولم يلقوا كفاء بغيهم من ردع ، وجزاء عدوانهم من خزى .

فيا موت زرا إن الحياة ذميمة ويا نفس جدى إن دهرك هازل

أيها العرب الأباة ! إنه يوم له مابعده ؛ فاصدعوا الأهوال بقلوب متفقة ، وأيد مجتمعة ، وامضوا إلى الغاية التى هى بكم أجدر ، وبتاريخكم ألیق . إنكم تقاتلون حيث قاتل آباؤكم فى اليرموك وأجنادين وحطين، وقد حطموا الباطل فى كبريائه ، وردوا البغى فى غلوائه ، فزلزلوا بهؤلاء البغاة الديار ، وردوا جند الصهيونيين بالخزى والدمار . واتركوها على التاريخ مأثرة إلى مآثر آبائكم ، وسجلوها على الأيام مفخرة إلى مفاخر أسلافكم .

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون والله معكم . »

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

مشاهدات وملاحظات :

تحية العلم ...

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

المستشار الثقافى لجامعة الدول العربية

كانت جزيرة « كورفو » منتهى المرحلة الثانية من مراحل سفرتى من بغداد إلى المغرب الأقصى قبيل الحرب العالمية الأخيرة

هبطت بنا الطيارة المائية المطار البحرى فى المضيق الذى يفصل الجزيرة من البر ، وقت العصر ؛ ثم نقلتنا السيارة من هناك إلى فندق فى المدينة لنقضى الليلة فيه ، على أن نعود فى فجر اليوم التالى إلى المطار لنستأنف السفر نهاراً .

والطريق الذى يمتد بين المطار والمدينة كان طويلاً ، يمر من بين مزارع جميلة وقرى صغيرة ؛ شاهدنا فيها عدداً غير قليل من الرجال والنساء والأطفال ، كلهم فى ملابس أنيقة كأنهم فى يوم عيد . وكلما اقتربنا من المدينة رأينا علائم الزينة تزداد شيئاً فشيئاً ... إلى علمنا أن ذلك اليوم كان فعلا من أيام الكرنفال .

* * *

كنت قد زرت هذه الجزيرة الجميلة مراراً ؛ غير أن تلك الزيارات كانت قديمة العهد جداً ؛ لأنها كانت تتصل ببداية حياتى التدريسية فى حاضرة « الأبير » — يانيا — التى كانت يومئذ مركز ولاية تابعة للدولة العثمانية .

فكان من الطبيعى أن أشعر برغبة شديدة فى التجوال فى المدينة قبل حلول الليل ، بغية تجديد تلك الذكريات القديمة ومشاهدة الجزيرة — فى عهدها الحالى — بعد مرور هذه السنين الطويلة . فما كدت أعرف غرفتى وأضع فيها حقيبتى ، حتى خرجت من الفندق إلى الشوارع التى تعج بضجيج الكرنفال . وأخذت أسير فى الطرق والميادين دون أن أسترشد بدليل ، غير مواكب التهريج نفسها .. إلى أن وصلت إلى الميدان الفسيح الذى يقع فى ظاهر المدينة ، حيث تلتقى شوارع عديدة فتمر منه جميع المواكب فى روحاتها وغدواتها التكرورة .

رأيت القوم — كمهدى بهم سابقاً — يملأون الجو ضجيجاً والميدان حركة ؛ ويتسابقون فى الضحك والإضحاك بأقنعتهم الغريبة ، وأزيائهم العجيبة ، ورقصاتهم السريعة ، وأغانيهم الخفيفة ، وأجواقهم المهرجة . وكان وصول كل موكب من المواكب إلى الميدان يستثير عاصفة من القهقهة والهتاف والصياح .. تندفع من حناجر آلاف المتفرجين المجتمعين هناك .

وقفت مدة فى زاوية من زوايا الميدان التى تطل على شوارع عديدة ، فتمكنت من مشاهدة المواكب الكثيرة ؛ وأخذت أتتبع حركات القوم بكل اهتمام .

واتفق أن وصل مرة أربعة مواكب غريبة دفعة واحدة من شوارع مختلفة ، فزاد نشاط الجميع زيادة هائلة . وصارت الجماعات التى تؤلف المواكب تندفع فى العزف والرقص والتهريج اندفاعاً جنونياً ؛ وأخذت جماهير المتفرجين تغرب فى القهقهة إغراباً عجيباً ، كأنهم أصيبوا بنوبات عصبية تهز جميع أبدانهم هزاً عنيفاً .

* * *

وفى الوقت الذى كان هذا الهرج والمرج قد بلغا الحد الأقصى ، وأخذت حواسى تعجز عن تتبع هذه الحركات العجيبة ، وعن تمييز هذه الأصوات الخليطة ، توقفت كل الحركات بغتة ، وانقطعت كل الأصوات فجأة .. وظننت — فى بادىء الأمر — أنه حدث حادث مروع جمد الفرح فى النفوس ، فأدى إلى هذا الوجوم العميق .

فأخذت أجيل بصرى فى كل الجهات ، لاستجلاء أسباب هذا التحول الفجائى إلى أن شاهدت فى آخر الميدان فى محل بعيد جداً ، علماً ينزل بالتدريج من فوق سارية كبيرة ؛ ولاحظت فى الوقت نفسه صوت بوق — لم أنتبه إليه قبلا — وفهمت عندئذ كل شىء .

كان ذلك وقت الغروب ، وقد حان موعد إنزال العلم من سارية الثكنة العسكرية التى تقع فى آخر الميدان ، والبوق كان يدوى إيذاناً بذلك ، والناس قد توقفوا عن السير والحركة احتراماً لذلك العلم !

وكان صوت هذا البوق قد قضى على كل الحركات والأصوات التى تصدر من تلك الألوف المؤلفة من الجماهير ، حتى فى وسط مهرجانات الكرنفال ، وفى أصخب صفحات التهريج ؛ مع أن معظم أفراد المواكب كانوا قد أصبحوا شبه سكارى من شدة الفرح الذى استولى على جوانحهم من جهة ، ومن كثرة الكئوس التى ارتشفوها فى مختلف الحانات من جهة أخرى .

إن صوت البوق الذى يرافق إنزال العلم كان قد حمل الجميع على التوقف بغتة ، كأنهم كلهم جنود فى ثكنة عسكرية يأتمرون بأوامر قائد يحترمونه كل الاحترام .

أكبرت عندئذ كل الإكبار قوة « التربية المدنية والوطنية » المتأصلة فى نفوس هذا الشعب . . هذه التربية التى تحمل الناس على عدم التقصير فى أداء واجب « الاحترام للعلم » حتى بين ضجيج مواكب التهريج ! .

* * *

تذكرت هذه الواقعة — بعد ذلك — عدة مرات ، فى عدة مناسبات . . وكانت الأخيرة منها ، قبل بضعة أيام :

كنت أسير مساء إلى « دار الرسالة » لزيارة صديقى الأستاذ أحمد حسن الزيات ؛ وكنت قد وصلت إلى رأس ميدان عابدين عندما سمعت صوت بوق يدوى بنبرات متقطعة متساوقة . فالتفت حالاً إلى الثكنات فرأيت العلم المصرى الذى يرفرف فوق سارية البناية المرتفعة أخذ ينزل بخطوات بطيئة ، بصورة متساوقة مع نفخات البوق المتقطعة . . فوقفت هناك متوجهاً نحو الثكنات ، لأمتع البصر بتتبع سير العلم باهتمام .

ولكنى لاحظت بغتة أننى كنت الوحيد فى هذا الموقف وهذا الاهتمام ... وأما الذين كانوا يمرون مثلى فى هذا الميدان ، فكانوا يواصلون سيرهم وكلامهم وعملهم . . كأنه لم يكن هناك شىء يستحق الالتفات : هنا جماعة من الأطفال يلعبون ، وهناك طائفة من النساء يتصايحن ؛ وفى كل الجهات عربات تمر ببطء ، وسيارات تسير بسرعة ؛ وعدد كبير من الناس يسيرون فى اتجاهات مختلفة ، ولا أحد منهم يلتفت إلى الثكنات ، أو يرفع البصر إلى سارية العلم القائمة فوقها .. كأن كل ذلك لا يهمه أبداً ولا يخص أحداً غير الجيش وحده . .

وتذكرت عندئذ — بكل تفاصيله — ما كنت شاهدته